د. مسعود أحمد إغبارية*

وفاة الرئيس ياسر عرفات: الموقف الإسرائيلي الرسمي

مقدمة :

تعرف المواقف الحقيقية للإنسان ساعات المحن التي تصل قمتها في ساعات الموت، وفيها تحاول الأطراف الإنسانية المتصارعة، إذا كان السِّلم من الأهداف الحقيقية التي تصبو الى تحقيقها، لرأب الخلاف والشروع في إحلال الوئام لزيادة التقارب والتفاهم وبناء خطوات نحو الثقة المتبادلة. مثلما تصيب المحن أفرادا، تصيب شعوبا وخاصة حين تفقد تلك الشعوب رموزا تاريخية عملت على تحررها وتقدمها. الشعب الفلسطيني ليس شاذا، ففي رحيل الرئيس ياسر عرفات في ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٤، عاش محنة صعبة لأنه فقد رمز ثورته وقائدها من أجل التحرر والحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية، وفارس معاركه الدبلوماسية لتحقيق السلام العادل في الشرق الأوسط. يعالج هذا المقال الموقف الإسرائيلي الرسمي من وفاة الرئيس ياسر عرفات كما ارتسم بواسطة ممثلي الحكومة ومنتخبين رسميين على مستويات عدة، ويستند على معلومات نشرت في وسائل إعلام إسرائيلية.

لا يمكن تحليل وتفسير تصرف حكام اسرائيل وقت محنة الشعب الفلسطيني بمعزل عن التطورات السياسية التي حدثت في السنوات العشر الأخيرة وخاصة منذ رفض ياسر عرفات الرضوخ للمطالب الإسرائيلية والتنازل عن الثوابت الفلسطينية الأساسية في كامب ديفيد في تموز ٢٠٠٠، حيث حسمت اسرائيل ، على أثرها، موقفها من ياسر عرفات، واستمرت القيادة الإسرائيلية في مهاجمة ياسر عرفات القائد والمسيرة حتى في ساعات احتضاره وموته. وكان الهدف من وراء هذا نزع الشرعية عن القيادة

* محاضر في كلية بيت بيرل.

الرئيس الراحل عرفات يغادر عمان الى باريس.

الفلسطينية وترويض القيادة الجديدة. هناك اعتقاد في اسرائيل انه بترويض القيادة السياسية الفلسطينية يمكن حسم الصراع لصالح اسرائيل. اتصف رد المسؤولين الاسرائيليين بثلاث مواصفات أساسية: الشماتة، حملة عاتية لضرب القيادة الفلسطينية التاريخية تحت قيادة ياسر عرفات، ومحاولة ترويض القيادة الفلسطينية القادمة بفرض شروط ومواصفات لتتحلى بها حتى تكون أهلا «للتفاوض» معها من جانب اسرائيل.

من يقرأ التصرف والحدث منذ بداية مرض ياسر عرفات وسفره الى فرنسا وموته ثم مراسم دفن جثمانه في رام الله، ويربطها بالتطورات التاريخية التي حدثت في المنطقة منذ عشرات السنين، يستطيع أن يتوصل إلى قناعة أن القيادة الإسرائيلية، بتصرفها، لم تضيع فرصة مهمة لخلق تفاهم بين شعوب المنطقة ولم تمثل كسرا أو نقصا أخلاقيا فحسب بل كانت تنفذ مخططا يهدف الى تدمير البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية للشعب الفلسطيني. هناك مؤشرات مختلفة تبرز ان فهم اتفاقيات اوسلو بواسطة المؤسسة الحاكمة في إسرائيل بأنها كمين لحصار وضرب الشعب الفلسطيني على عدة جبهات: محاصرة وضرب وترويض القيادة الفلسطينية، ضرب الطبقة الوسطى الفلسطينية ، تدمير وتجفيف المدينة الفلسطينية حصن التقدم الحضاري حيث فيها يزدهر العلم والتحاور والتفاعل والتنافس، وتدمير الاقتصاد الفلسطيني، ومحاصرة وتجويع شعب أعزل ربما يساعد هذا على ترحيله من البلاد ليتحقق من وراء هذا، كما يتصورون، إنهاء القضية الفلسطينية. وفيما يتعلق بمحاولة ضرب وترويض القيادة الفلسطينية الجديدة، وهو الموضوع الذي سوف نتطرق اليه في هذه الدراسة،

فهناك اعتقاد أو حتى رأي مسبق في إسرائيل يرى ان الشعوب العربية ومنهم شعب فلسطين تحكمها نخب وليس مؤسسات، فإذا ضربت أو روضت تلك النخب، يتم تسيير الشعوب والتحكم بها.

جسد الموقف الإسرائيلي من مرض ووفاة ياسر عرفات ضياع فرصة تاريخية لخلق ثقة متبادلة بين الإسرائيليين والفلسطينيين، ربما أنهم لا يريدون خلق ثقة أو لا يدركون أهمية مثل هذا التطور في أية مفاوضات مستقبلية. وسخر حاييم رامون أحد قادة حزب العمل الإسرائيلي من مستوى القيادة السياسية في إسرائيل، في مقابلة تلفزيونية مع قناة ١٠ في شهر تشرين الاول ٢٠٠٤، حين قال، موجها كلامه لمقدمي البرنامج الإخباري، لو ان القيادة السياسية في إسرائيل بهذه الحكمة التي تصورونها أنتم في وسائل الإعلام لكنا منذ زمن بعيد نعيش في دولة تشبه سويسرا.

عمل الكثير من السياسين الإسرائيليين على اختلاف مناصبهم كجوقة واحدة من اجل نزع الشرعية من القيادة الفلسطينية والعمل على خلق قيادة فلسطينية راضخة للشروط الإسرائيلية. ولم يكن هناك اختلاف جوهري بين مواقف كتلة الليكود ومواقف حزب العمل والجهات المتطرفة اليمينية. فنرى إيهود باراك، يقول: «كانت قيادة عرفات مأساة لشعبه ولنا.وجدنا في كامب ديفيد ان هدفه لم يكن السلام وإنهاء الصراع، وإنما إرهابا وعنفا».

الشماتة ومخالفات الأعراف والقيم الإنسانية

أظهر قادة اسرائيل والكثير من القوى السياسية في اسرائيل شماتة، فرحا وسرورا حين المحن، من مرض ياسر عرفات ومن موته وكأنهم بهذا حققوا انتصارا في طريقهم لتحقيق غاياتهم. وأعلنت حركة «قيادة يهودية» تابعة لحزب الليكود انها سوف تحتفل بموت ياسر عرفات بعد دفنه بيومين. وأظهرت أغلب وسائل الأعلام الإسرائيلية اغتباطاً من مغادرة الرئيس ياسر عرفات للعلاج في فرنسا. وتسابقت في تزويد قرائها أو مستمعيها أو مشاهديها بالأخبار الحزينة عن تدهور صحة ياسر عرفات. وكأن مثل هذه الأخبار تسر الرأي العام في إسرائيل. ووصل مستوى الشماتة وربما الاستهزاء، بصحيفة «معاريف» حين وصفت الرئيس ياسر عرفات «انه الرجل الحي–الميت»[١] وبصحيفة «يديعوت أحرونوت» حين كتبت ما يلي: «القائد الفلسطيني صاحب الأرواح التسع، أثبت ان له عددا غير محدد من الميتات.»

وعلى المستوى الرسمي، وربما كي لا يظهر جليا انه فاقد الأخلاق، أو ربما كي يخفي شيئاً، حافظ أريئيل شارون رئيس الحكومة الإسرائيلية، على سعادته من وراء الكواليس ووصف في العديد من وسائل الاعلام، بأنه كان سعيداً ومرفوع المعنويات. وقال يوسف لبيد، في وقته وزير العدل الإسرائيلي، والابتسامة تغطي وجهه: «كرهت ياسر عرفات بسبب تحمله مسؤولية قتل إسرائيليين وبسبب رفضه التقدم في العملية السلمية.» وقال سلفان شالوم، وزير خارجية اسرائيل، وهو مكلف للتحدث باسم الحكومة يوم وفاة ياسر عرفات: «هذا صباح لبداية تاريخ جديد في الشرق الأوسط يمكن التغيير به نحو الأفضل.»[٢] وقال يحائيل حزان، الذي وصف الفلسطينيين بالديدان، وهو من زعماء حزب الليكود إنه «يحمد الله على موت عرفات». ومن بين الفئات اليهودية المتدينة التي أعلنت الاحتفالات بوفاة ياسر عرفات أعضاء جمعية كهنة «بيقواح نيفش» الذين طالبوا ان تكون الاحتفالات في قطاع غزة. وتناقلت الأخبار ان دور العبادة اليهودية في مناطق مختلفة من بينها في مستوطنات قطاع غزة قامت بتأدية ما سموها «صلاة الشكر على «موت ... ياسر عرفات.»[٣]

وحين نتحدث عن الشماتة علينا إدراك أنها أمر مخالف للاخلاق الدينية والإنسانية، فمن يتبناها يتجاهل بذلك نصوصا واضحة في الديانات السماوية الثلاثة والتي تحرص على احترام الميت، وإكرامه وعدم ذكر ماضيه السلبي، حتى ولو كان هناك تجاوزات في حياته. قال الرسول محمد (ص) «أذكروا محاسن موتاكم» وقالت الكتب الدينية اليهودية «حين يموت الشخص تقال عنه الكلمات الايجابية» وكذلك، «في موت عدوك لا تفرح».

وفسر الكاتب الإسرائيلي يزهار بئير، مدير عام مركز «كيشيف» للدفاع عن الديمقراطية في اسرائيل الفرح الذي عم الإسرائيليين على اثر مرض عرفات بأنه «عدم الشعور بالأمن، وضعف.»[٤]

وجهت انتقادات متعددة لهذا التصرف وخاصة من ممثلي المواطنين العرب في الكنيست. وقال عضو الكنيست محمد بركة : ان مظاهر الفرح التي برزت عند القيادة الإسرائيلية «والرقص على السطوح» من قبل قادة اسرائيل تبرهن ان لهذه القيادة نهجا متخلفا.

في المقابل، ابرز الشعب الفلسطيني خلقا حين عبر عن حزنه على أثر قتل اسحق رابين، العام ١٩٩٥، وقدم ياسر عرفات العزاء بنفسه في بيت رابين. عرفاناً، شغلت بنت رابين، دالية رابين–

فيلسوف، نائبة وزير الدفاع وقت بدء الحملة العسكرية الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني العام ٢٠٠١، وأشرفت مع غيرها على محاصرة ياسر عرفات في المقاطعة برام الله ليس لسبب سوى انه رفض الرضوخ لمطالب القادة الإسرائيليين.

مهاجمة القيادة التاريخية

حال توارد نبأ وفاة ياسر عرفات عقدت اللجنة الوزارية الإسرائيلية لشؤون الأمن اجتماعا في ١٠ تشرين الثاني ٢٠٠٤، تم بها إقرار بدء حملة معادية لياسرعرفات وما يمثله حالا بعد مواراته التراب، لأن، وفق ما قاله شارون، وصف عرفات في العالم بأنه محارب حرية، سوف يشجع ويعطي شرعية للإرهاب. وتقرر ان يقوم بالدور نيابة عن الحكومة كل من سلفان شالوم، وزير الخارجية، وشاؤول موفاز (وزير الدفاع) وبنيامين نتنياهو (وزير المالية) ومجلي وهبي، عضو الكنيست وأحد مساعدي أريئيل شارون.

وتم إبراز ياسر عرفات في هذه الحملة على انه «قاتل» «مجرم»، «وسبب الفشل في التوصل الى سلام» وفق ما طرحته إسرائيل. من ابرز أهداف هذه الحملة:

* تفريق الصفوف الفلسطينية وخلق هوة بين ياسر عرفات وبين القيادات التي رافقته منذ عشرات السنوات، مدركين ان التماسك الداخلي من أبرز سمات قيادته التي منحتها الاستمرارية في ظروف صعبة.

* نزع الشرعية عن قيادة ياسر عرفات التاريخية، وضرب ما وقفت من اجله وما حققته، مرتكزين على المبدأ القائل أن ضرب القائد السياسي والنخبة الحاكمة يشل الطرف الآخر برمته.

* تثبيط عزائم الفلسطينيين حين تركز على ما يلي:

١) التركيز على ان موقف إسرائيل لم يتغير قيد أنملة على اثر وفاة عرفات.

٢) موت عرفات أنهى القضية الفلسطينية، أو المسيرة التي قادها عرفات. وتجند إلى ترديد هذا القول «أخصائيون» في الشؤون العربية مثل الكاتب غاي بخور احد المعلقين السياسيين في صحيفة «يديعوت أحرونوت».

٣) نشر أوصاف مرضية للشعب الفلسطيني حيث قال مقربون من شارون إن المجتمع الفلسطيني مصاب بجرثومة عرفات: جرثومة العنف، الإرهاب والتحريض.

٤) محاولة بناء «صورة أسطورية» للمخابرات الإسرائيلية بالتلميح بأن إسرائيل هي التي كانت من وراء «انتهاء ياسر عرفات» وهي تريد من وراء ذلك إرسال رسالتين: الأولى ان المخابرات الإسرائيلية قادرة على تحقيق مثل هذا «الانتصار» ولم يكن بالصدفة ان نشرت الصحف الإسرائيلية في نفس الفترة «قصصا خيالية» عن الموساد وعن الدور الذي قام به جنرال مئير دغان، رئيس الموساد، شخصيا في لبنان وغيرها من المناطق. والرسالة الثانية ربما موجهة بالأساس الى القيادة السياسية الجديد، تقول فيها: من يسير على درب عرفات سوف يلاقي المصير نفسه .

في هذه الحملة عمل الكثير من السياسيين الإسرائيليين على اختلاف مناصبهم كجوقة واحدة من اجل نزع الشرعية من القيادة الفلسطينية والعمل على خلق قيادة فلسطينية راضخة للشروط الإسرائيلية. ولم يكن هناك اختلاف جوهري بين مواقف كتلة الليكود ومواقف حزب العمل والجهات المتطرفة اليمينية. فنرى إيهود باراك، يقول: «كانت قيادة عرفات مأساة لشعبه ولنا.وجدنا في كامب ديفيد ان هدفه لم يكن السلام وإنهاء الصراع، وإنما إرهابا وعنفا». ثم ينتقل كغيره للتحدث عن المستقبل وان الأمر منوط بمواقف فلسطينية جديدة حين يقول: «الآن أمام الفلسطينيين إمكانية أخذ الأمور بأيديهم والسير لوقف الإرهاب وإعادة المفاوضات.»[٥] ويقول عضو الكنيست غدعون ساعر، رئيس الائتلاف الليكودي الحاكم في اسرائيل: «كان طريق عرفات الإرهاب وكره إسرائيل. قدس عرفات رموز الإرهاب وعودة اللاجئين.» ويقول أفي أيتام، زعيم حزب المفدال، الحزب القومي الديني في اسرائيل، ومن كبار المتطرفين ضد الفلسطينيين: «في هذا اليوم انقشعت غيمة ثقيلة من فوق قيم الحياة والحرية. والتاريخ الإنساني لا يحتوي على أمثلة سيئة كثيرة تجمع لحما ودما. في هذا اليوم دماء الكثيرين من أخوتنا تصرح من الأرض، إنه هتلر». وقال الوزير الاسرائيلي شيرانسكي ان منع التحدث عن عرفات، كما اراد شارون، سوف يعطى مجالا لاوروبا ان تراه بطلا. مضيفا، «علينا تذكيرهم اننا نتحدث عن قاتل عمل كل شيء من أجل منع السلام.»

الموقف من عرفات ليس موقفا شخصيا لشارون أو أي عضو آخر في الكنيست أو مستشار، وإنما هو موقف المؤسسات المهنية

إن شارون المغامر، والذي يسير وفق استراتيجية القضاء على القيادة الفلسطينية، مرتكزا على تعليمات معلمه الأول، بن غوريون «ليس المهم ما يقوله غير اليهود وإنما المهم ما يعمله اليهود»، لن يردعه عن القيام بالمس بسلامة ياسر عرفات لا طلب أميركي علني بعدم المس بياسر عرفات، ولا تصريح مستشار الأمن لياسر عرفات جبريل رجوب الذي قال ان المس بياسر عرفات هو بمثابة إعلان حرب شاملة وأبدية ضد الفلسطينيين، ولا إعلان حركة «فتح» بأن المس بحياة ياسر عرفات سيضع الفلسطينيين في حل من الاتفاقيات الموقعة بين إسرائيل ومنظمة التحرير ومن بينها إلغاء التعديلات التي أجريت على بنود في الميثاق الوطني الفلسطيني.

الحاكمة في اسرائيل. هذا لا يخفف من دور القائد الذي قد يصنع اختلافا خارجيا في التكتيك، وهو يمثل كلا من الليكود والعمل على حد سواء. فإذا رجعنا الى الماضي غير البعيد نستطيع القول ان الموقف تجاه عرفات كان قد حدد نهائيا زمن حكم حزب العمل، زمن باراك، على أثر رفض عرفات التنازل عن حق العودة، والمساس بالمقدسات الإسلامية في القدس، في كامب ديفيد في تموز ٢٠٠٠ ، حيث يفتخر باراك ومن معه أنهم استطاعوا «كشف وجه عرفات الحقيقي» أي الانسان الذي يرغب في تدمير اسرائيل حسب تفسيرهم.

وليس هناك شك ان الموافقة على عودة ياسر عرفات الى فلسطين من قبل الحكومة الإسرائيلية العام ١٩٩٤، حيث كان في وضع دولي وعربي صعب، كان موقفا انتهازيا يهدف للحصول على «توقيع عرفات على الاعتراف الكامل(دي يوري) بحق إسرائيل في الوجود، وعلى التنازل عن حقوق مقدسة أساسية في القدس، وعلى التنازل عن حق العودة. وحين رفض عرفات، تيقن الإسرائيليون ان عرفات «لم يتغير». وتجسد هذا الموقف بشكل رسمي في قرار حكومي في ١ تشرين الاول ٢٠٠٠ ، اليوم الأول للانتفاضة الفلسطينية حين ألقت الحكومة الإسرائيلية، برئاسة باراك، وبموافقة جميع الوزراء مسؤولية اندلاع الانتفاضة المسلحة على ياسر عرفات، ومن ذلك اليوم، وبشكل متواصل، وبازدياد في الشراسة، بدأت حكومة باراك وتبعتها في نفس الوتيرة حكومة شارون، حملة هدفت إلى نزع الصفة الإنسانية عن عرفات، أي انه إنسان لا يستحق البقاء. وقد عمل في سبيل هذه الحملة كل مؤسسات الدولة في اسرائيل بالإضافة الى وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية في اسرائيل. ومن يتتبع حيثيات الحملة يستطيع الإشارة الى أنها زادت شراسة بعد رفض عرفات إنذار باراك ، رئيس وزراء اسرائيل في حينه، في بداية تشرين الاول ٢٠٠٠، الذي حمل عرفات مسؤولية انعدام الهدوء. في مكالمة مع الرئيس كلينتون، الرئيس الأميركي في حينه قال عرفات في ٧ تشرين الاول ٢٠٠٠: إن أمر إعادة الهدوء الى المنطقة متعلق بالجانب الإسرائيلي، فإذا انسحبت القوات الإسرائيلية عاد الهدوء من جديد.

واستمرت الحملة أربع سنوات وألصقت بعرفات خلالها الصفات التالية: «غير مهم»، «إرهابي» وأنه «عقبة في وجه السلام». مع وجود اختلاف في المؤسسة الأمنية حول دور عرفات في توجيه العمليات العسكرية، لم يوفر باراك جهدا لمهاجمة عرفات والفلسطينيين، وهو بهذا يزيد من الآراء المسبقة في إسرائيل ضد الفلسطينيين، ووصف الفلسطينيين بعد فشل كامب ديفيد بالتماسيح التي تريد المزيد من اللحم. وتواصلت هذه الحملة حتى بعد موت عرفات، ولم يضيع متخذو القرار في إسرائيل محاولة انتزاع الصفات الإنسانية عن عرفات حتى حين كان الحدث يحمل بعدا إنسانيا بحتاً. فعلى سبيل المثال حين اندفعت الجماهير لوداع عرفات الأخير في رام الله، ووصل عددها وفق تقديرات صحافية الى اكثر ٢٠٠ ألف مودع، رآها سياسيون مقربون لشارون بأنها فوضى وإهانة يستحقها ياسر عرفات.»[٦] ورأى مقربون لشارون ان «الفوضى» التي رافقت الجنازة في رام الله «تثبت لأي مدى تدهور المجتمع الفلسطيني، وهي احد توريثات ياسر عرفات». [٧]

موت طبيعي؟

وصف محمد حسنين هيكل، الصحافي العربي المرموق وذو مصداقية عالية، أن بث مراسيم سفر ياسر عرفات للعلاج في باريس وعودة جثمانه تشبه فيلما به تم ترتيب تصفية شخصية اعتبرت عقبة أمام تمرير صفقة، من قبل رئيس المافيا الذي هو وفق تصور هيكل، شارون ذاته.[٨] مع أن هناك العديد ممن لا يحبذون اللجوء الى نظرية المؤامرة في تحليل الأحداث، إلا أننا لا نستثني هذه النظرية في هذا السياق ونستنتج ان هناك احتمالاً كبيراً ان تكون إسرائيل من وراء مرض، ربما تسميم، وبالتالي موت ياسر عرفات. لان مجمل العلاقة بين حكومات إسرائيل والقضية الفلسطينية منذ البداية بنيت على مواقف مؤسسات الأمن في إسرائيل التي استهدفت القادة الفلسطينيين في الضفة الغربية، قطاع غزة، بيروت، دمشق، عمان، تونس، والكويت. وقد عبر عن هذا الموقف المؤسساتي المهني رئيس جهاز المخابرات العامة، الشاباك، شبتاي شبيط، حين صرح العام ٢٠٠١ ان القضاء على ياسر عرفات سوف يؤدي الى انخفاض قيمة القضية الفلسطينية على الساحة الدولية، حيث كان عرفات هو العامل المهم في فتح الأبواب عند الكثير من زعماء العالم[٩]. ولا نستغرب ان يكون هذا تنفيذاً لقرار الحكومة الإسرائيلية في شهر أيلول ٢٠٠٤، الذي دعا للتخلص من ياسر عرفات « بأية وسيلة»، بعد قرارها من أيلول ٢٠٠٣ الذي اقر إزالة ياسر عرفات في الوقت المناسب. وحين طلب من الحكومة الإسرائيلية السماح بإعادة ياسر عرفات على أثر خروجه للعلاج في فرنسا في نهاية شهر أيلول ٢٠٠٤، كان هناك تلميحات حين وافقت الحكومة على هذا الطلب أن سفر عرفات سوف يكون الأخير ولن تكون هناك مشكلة في عودته، ربما كانت هناك قناعة عند القيادة الإسرائيلية انه لن يعود حيا. كتب عكيفا الدار، معلق بارز في صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية ما يلي:[١٠] «عمل شارون نصف حياته للقضاء على ياسر عرفات الذي عرفه «كبير أعداء اسرائيل.» ووصلت القمة الأولى في حرب لبنان العام ١٩٨٢ حيث هدفت الحرب حين كان شارون وزير الدفاع، للقضاء على عرفات أو طرده.

ولم يتغير الموقف المؤسساتي من ضرورة التخلص من ياسر عرفات على أثر رفضه الموافقة على المقترحات الإسرائيلية في كامب ديفيد في تموز ٢٠٠٠، فقد استمر شارون في تهديداته المتصاعدة، التي وصلت الى ان يقول في ٥ نيسان ٢٠٠٤ أن عرفات ليس آمنا في كرسيه، وانه لا ينصح شركات التأمين بقبول تأمينه، مضيفا تهديدا مباشرا لحياة عرفات حين قال: «نحن نعرف جيداً ماذا يعمل عرفات.. تحضيرات لعمليات عسكرية جديدة ضد إسرائيل. لذلك من يقتل اليهود، ويرسل تعليمات لقتلهم مجرد كونهم يهودا يجب قتله»[١١]، وبعد ذلك بعدة أسابيع صرح شارون أيضا في مقابلة تلفزيونية أنه اخبر الرئيس بوش الابن انه في حل من التزامات كان قطعها قبل ثلاث سنوات من انه لن يتعرض لحياة الرئيس ياسر عرفات،[١٢] ويرى البعض ان الصمت النسبي الذي خيم على المواقف الإسرائيلية، على أثر نقل ياسر عرفات للعلاج في باريس، ما هو إلا صمت ترقب نهاية الخطة الدراماتية. وزاد عدم كشف أسباب الوفاة بواسطة المستشفى العسكري الفرنسي قرب باريس، الذي عولج به ياسر عرفات، من الشك بأن لإسرائيل دورا في هذا التطور. وقد شكلت لجنة تحقيق فلسطينية لدراسة وجود مثل هذه الإمكانية. مع هذا، رفض فلسطينيون هذه النظرية، على الأقل حتى تقرها لجنة تحقيق رسمية، مع اعتقادهم ان إسرائيل لا تتورع عن القيام بأي شيء، إلا أنها لا تستطيع عمل كل شيء، وذلك لان ترديد هذه النظرية قد يخدم، بشكل غير مباشر، مصلحة المخابرات الإسرائيلية[١٣].

كي لا يشعر الإسرائيليون بالأمان على اثر وفاة ياسر عرفات، حيث كل ما كتب عن الموضوع يوحي بأن العقبة قد زالت، لم ينس رئيس الأركان الإسرائيلي بتذكير الاسرائيليين ان الوضع ما زال خطيرا، فحذر الاسرائيليين من أن العمليات العسكرية الفلسطينية سوف تستأنف خلال عدة أيام. وقامت اسرائيل بإعلان حالة الطوارئ في وحداتها العسكرية بالقرب من المدن الفلسطينية في الضفة من اجل ان تمنع أية مظاهرات أو اخلال في الأمن.

إن شارون المغامر، والذي يسير وفق استراتيجية القضاء على القيادة الفلسطينية، مرتكزا على تعليمات معلمه الأول، بن غوريون «ليس المهم ما يقوله غير اليهود وإنما المهم ما يعمله اليهود»، لن يردعه عن القيام بالمس بسلامة ياسر عرفات لا طلب أميركي علني بعدم المس بياسر عرفات، ولا تصريح مستشار الأمن لياسر عرفات جبريل رجوب الذي قال ان المس بياسر عرفات هو بمثابة إعلان حرب شاملة وأبدية ضد الفلسطينيين، ولا إعلان حركة «فتح» بأن المس بحياة ياسر عرفات سيضع الفلسطينيين في حل من الاتفاقيات

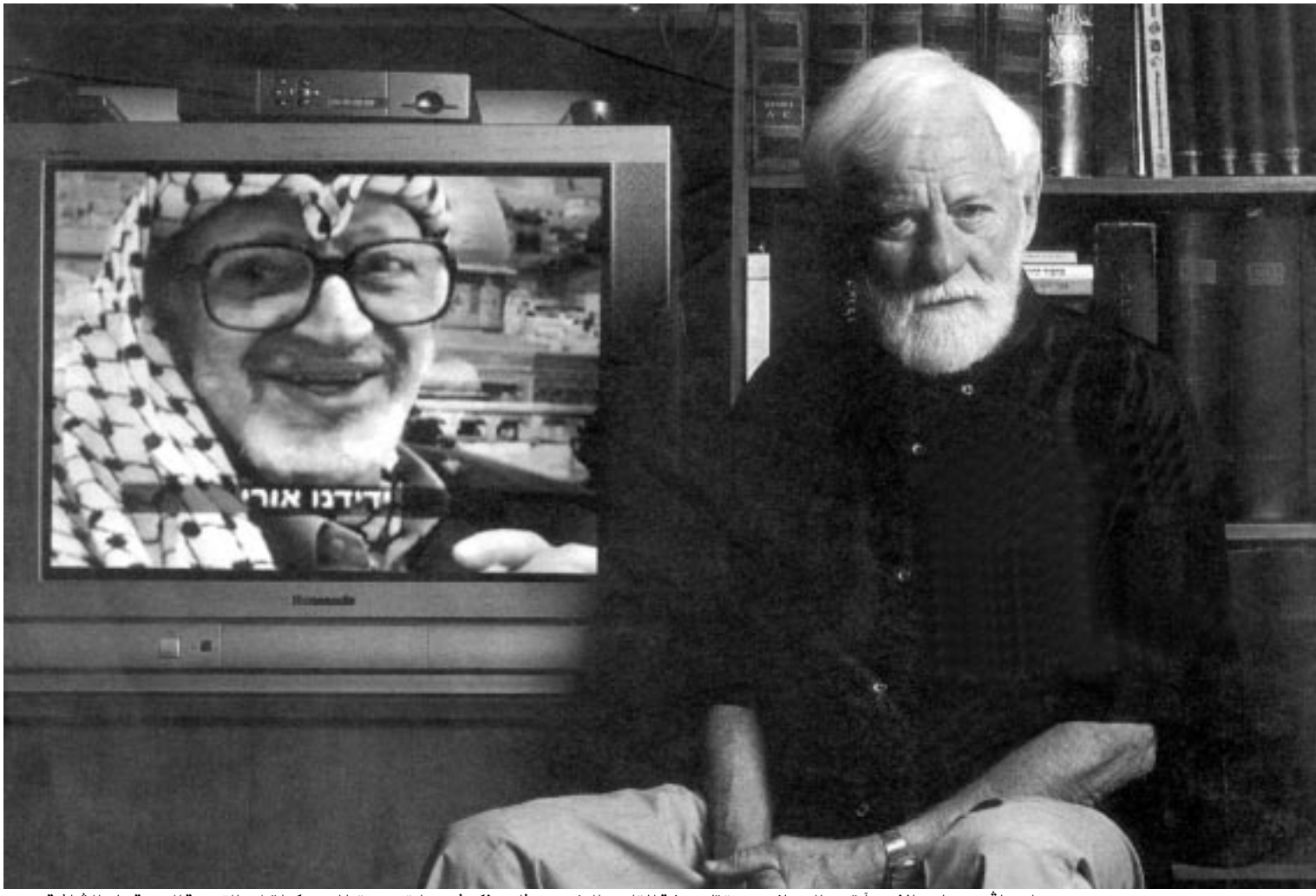

اوري افنيري على غلاف «هآرتس» الى جانبه صورة تلفزيونية للقاء مع الرئيس عرفات يذكر فيه عبارة «صديقنا اوري» كما تظهر الترجمة العبرية على الشاشة.

الموقعة بين إسرائيل ومنظمة التحرير ومن بينها إلغاء التعديلات التي أجريت على بنود في الميثاق الوطني الفلسطيني. وزاد احتمال قيام حكومة إسرائيل بهذا إثر قيامها باستهداف قادة فلسطينيين سياسيين من أمثال الشيخ احمد ياسين، القائد السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

صرح عضو الكنيست عصام مخول (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) في ٧ تشرين الثاني ٢٠٠٤، وعرفات يصارع الموت في فرنسا، انه لا يستبعد قيام إسرائيل بتسميم ياسر عرفات لان ماضيها في هذا المجال حافل. وذكر ان تصريح سلفان شالوم الذي قال فيه أن القضاء على ياسر عرفات هو اقرب بكثير مما يتوقعون، هو إثبات للمساس بياسر عرفات. وفسر معلقون بأن تصريح سلفان شالوم في ٨ أيلول ٢٠٠٤ أن إسرائيل سوف تطرد ياسر عرفات في الوقت التي ترتئيه» كمؤشر على نوايا الحكومة الإسرائيلية تجاه التخلص من ياسر عرفات.

ولم يخف رئيس الأركان الإسرائيلي حقيقة استهداف إسرائيل لياسر عرفات، حين صرح إثر اغتيال الشيخ ياسين إن قيام إسرائيل باستهداف عرفات أصبح قريبا. وقال داني نفيه وزير الصحة الإسرائيلي في ٢٢ آذار٢٠٠٤ ، ان على إسرائيل القضاء على ياسر عرفات. وفي الكثير من المواقف كان لياسر عرفات حس دقيق. فبعد يوم من تصريح رئيس الأركان الإسرائيلي، صرح عزام الأحمد الوزير الفلسطيني في ٢٢ آذار ٢٠٠٤، ان ياسر عرفات يشعر الآن بأن حياته مهددة من قبل إسرائيل لأنهم قتلوا احمد ياسين وهو ليس بعيدا عنه». واتصل عرفات بالعديد من الرؤساء العرب وحثهم على منع مثل هذا التطور، وبعد مقابلته في المقاطعة، صرح الصحافي اوري افنيري، ان عرفات كان مقتنعاً في حياته ان شارون يريد قتله، وما حصار عرفات في ثلاث غرف

فتحت اسرائيل جبهة على القيادة الجديدة الفلسطينية محاولة ترويضها وفرض إملاءاتها عليها. وقد بدأت هذه الحملة مباشرة مع بداية المحنة. فبعد سفر ياسر عرفات لتلقي العلاج في فرنسا، دخلت القيادة الإسرائيلية مرحلة «ما بعد عرفات» فأخذت تهاجم كل ما كان خلفه عرفات، مستعملة أسلوب الجوقة وتقاسم الأدوار ، وتحدد مواصفات القيادة القادمة والشروط التي يجب ان ترضخ لها، إذا أرادت هي ان توافق اسرائيل على المفاوضات معها. ففي جلسة للمجلس الوزاري المصغر للشؤون الأمنية في إسرائيل، حدد شارون موقفه حين رفض تقديم أي تسهيلات للقيادة الجديدة التي كانت في مرحلة مسك زمام الأمور، وسأل باستهزاء «هل سمع احد منكم ان أبو مازن يقول شيئاً ضد الإرهاب؟»

دون ان يشاهد الشمس لمدة أكثر من سنتين ونصف، بواسطة شارون، إلا قتل بحد ذاته على حد قول افنيري.

يرى المحلل السياسي هاني المصري ان تهديد شارون بالمساس بعرفات أصبح خطيرا وخاصة بعد «حصوله على مكتوب الضمانات الأميركية التي يعتبر انتصارا لشارون، وبعد ان أصبحت إزالته مصلحة أميركية إسرائيلية وذلك بغية أيجاد غطاء فلسطيني للمشاريع التي يريدون فرضها على الفلسطينيين.[١٤] يجب ان لا ننسى ان إسرائيل حاصرت المقاطعة في رام الله ، بدرجات متفاوتة من كانون الأول ٢٠٠١ حتى وفاة الرئيس عرفات في تشرين الثاني٢٠٠٤.

إسرائيل تريد ترويض وتطويع القيادة الفلسطينية الجديدة

تحليل عميق لموقف اسرائيل من القيادة الفلسطينية الجديدة على اثر وفاة ياسر عرفات يقودنا الى التفكير ان الموقف يتمشى واستراتيجية إسرائيل الهادفة للقضاء أو ترويض وتطويع القيادة الفلسطينية على كافة المستويات والتي بدأت من عشرات السنوات ودخلت مرحلة جديدة في السنوات الأخيرة حين قامت إسرائيل بقتل قادة سياسيين من أمثال الشيخ احمد ياسين في آذار ٢٠٠٤ والدكتور عبد العزيز الرنتيسي في نيسان ٢٠٠٤ او المبادرة بشكل مباشر او غير مباشر عن طريق مؤسسات خارجية لـ «مشاريع» مشتركة من أجل إسقاط قيادات. كان الرد الإسرائيلي بمثابة مسرحية تم تقاسم الأدوار فيها من أجل إضعاف الموقف الفلسطيني وتحضير الجو لفرض حلول على الفلسطينيين. وهذا المنطق الاستعراضي الشاروني لم يتغير منذ عشرات السنوات، به يوهم الطرف الفلسطيني أو الأطراف الأخرى أن إسرائيل تستطيع فرض شروطها بحدية وبصرامة على الطرف الآخر. اتسم موقف شارون من القيادة الفلسطينية الجديدة التي خلفت ياسر عرفات بالحزم والرفض المطلق وذلك لأن، وفق تفسير الصحافي الإسرائيلي عوزي بنزيمان، من صحيفة «هآرتس»، رأي أصحاب القرار السياسي في اسرائيل لا يتغير بسهولة تجاه الفلسطينيين بسبب وجود رأي سائد في المؤسسة الأمنية الإسرائيلية يقول إن الفلسطينيين لا يوافقون اليوم على تقسيم البلاد بينهم وبين اليهود، وأنهم يصبون، سواء كان هذا بالقوة أو بزيادتهم السكانية، للقضاء على دولة اسرائيل، لأن اسرائيل ككيان سياسي لم تحصل على الشرعية المطلوبة من قبل الشعب الفلسطيني، وهذا ما يجعلهم يشككون ان موت عرفات سوف يأتي بالتغيير التي يريدونه، أي ان تصبح دولة اسرائيل كيانا شرعيا في نظر الفلسطينيين.

فتحت اسرائيل جبهة على القيادة الجديدة الفلسطينية محاولة ترويضها وفرض إملاءاتها عليها. وقد بدأت هذه الحملة مباشرة مع بداية المحنة. فبعد سفر ياسر عرفات لتلقي العلاج في فرنسا، دخلت القيادة الإسرائيلية مرحلة «ما بعد عرفات» فأخذت تهاجم كل ما كان خلفه عرفات، مستعملة أسلوب الجوقة وتقاسم الأدوار ، وتحدد مواصفات القيادة القادمة والشروط التي يجب ان ترضخ لها، إذا أرادت هي ان توافق اسرائيل على المفاوضات معها. ففي

جلسة للمجلس الوزاري المصغر للشؤون الأمنية في إسرائيل، حدد شارون موقفه حين رفض تقديم أي تسهيلات للقيادة الجديدة التي كانت في مرحلة مسك زمام الأمور، وسأل باستهزاء «هل سمع احد منكم ان أبو مازن يقول شيئاً ضد الإرهاب؟» وحذر من الإعلان عن تقديم دعم محددا انه «لا يؤمن بالكلمات ولكن بالأعمال. » وأضاف، ملخصاً سياسته تجاه القيادة الفلسطينية الجديدة: يجب ان لا نتحدث عن تنازلات حسن نية مثل الإفراج عن سجناء. ويجب ان نطالب في البداية ان تقوم القيادة الجديدة بمحاربة الإرهاب...قبل كل شيء يجب ان نرى ما ستقوم به القيادة الفلسطينية الجديدة بشكل عملي.[١٥] وأضاف شارون: «لن تكون هناك تنازلات إسرائيلية للقيادة الجديدة لأن التنازل لأبي مازن قبل تفكيك البنية التحتية للإرهاب، سوف يشجع الإرهاب ويضع اسرائيل أمام ضغوطات عالمية من أجل المزيد من التنازلات للفلسطينيين.[١٦] ولم تكتف اسرائيل بتكرار نفس الشروط التي حاولت فرضها على ياسر عرفات بل زادتها. يقول الصحافي عكيفا الدار ما يلي: لم يكتف شارون، بعد وفاة عرفات بطلب من الشعب الذي يرزخ تحت الاحتلال ان يتوقف عن مقاتلة محتليه ، ولكنه بدأ يطالبه على إثر وفاة ياسر عرفات بالتوقف عن الاحتجاج السلبي ضد الاحتلال.[١٧]

وحتى يخفف من الضغوط على اسرائيل لإجبارها على التنازل ، اتبع شارون تكتيكا معروفا اتصف بما يلي:

* تقليل أهمية الحدث نفسه وذلك لان صاحب الحدث، أي عرفات، «ليس مهما» وفق الدعاية الإسرائيلية المعروفة. ومن هذا المنطلق فإن زمن ما بعد عرفات، من الناحية الإسرائيلية، لن يختلف عن زمن عرفات. وعبر شارون عن عدم رضاه من تغطية الحدث بشكل مكثف بواسطة وسائل الإعلام الإسرائيلية ، لأنه يعتقد أن «هذا الشخص» لا يستحق مثل هذا.[١٨]

* وضع الكرة كاملة في الملعب الفلسطيني، وخاصة حين ركز ان العقبة أمام المفاوضات ترجع الى الجانب الفلسطيني، مع العلم ان الفلسطينيين كانوا الأكثر مطالبة باستئناف المفاوضات وانتهاج الحل السلمي للصراع. قال شارون: «في اللحظة التي يكون بها استعداد لدى القيادة الفلسطينية لمحاربة الإرهاب وتوقف العنف والتحريض، فسوف تكون هناك فرصة لتجديد المفاوضات.»[١٩] وقال شارون: «إذا نبتت قيادة فلسطينية مخالفة بعد عرفات، تكون جدية وتقوم بتنفيذ التزاماتها وفق خارطة الطريق، وتوقف الإرهاب، العنف والتحريض، تحل المنظمات الإرهابية، وتنفذ اصلاحات حكومية، سوف تخلق فرصة للتنسيق لتنفيذ خطوات متعددة.[٢٠] ويحدد شارون اولوياته: «أولا يجب ان نرى إذا قاموا بمحاربة الإرهاب.[٢١] وانضم إلى هذه المساعي موشيه قصاب، رئيس دولة إسرائيل حين قال: «نأمل ان يقوم الفلسطينيون بانتخاب قيادة جديدة تمكن من إعادة المفاوضات.»[٢٢]

* اللجوء الى الابتزاز. كان هذا واضحا حين أعلنت مصادر رسمية إسرائيلية أن موقف إسرائيل على اثر الطلب الفلسطيني لمشاركة سكان القدس في الانتخابات يتطلب من جانب إسرائيل «نقاشا»[٢٣] في نفس الوقت دأبت تلك المصادر على نشر أن موقف سلفان شالوم، وزير الخارجية، يعارض الطلب الإسرائيلي. وهذه لعبة متعارف عليها: فإن تنازلت إسرائيل في النهاية وسمحت لفلسطيني القدس المشاركة فإنها تطلب مقابل ذلك أو تحمل الفلسطينيين «جميلا». وقالت ليمور لفنات وزيرة المعارف والثقافة في اسرائيل: «بعد موت عرفات يمكن ان نعود للمفاوضات..حين يتغيب عرفات يكون من الأسهل بدء المفاوضات السياسية وخطة خارطة الطريق، هذا إذا كان هناك طرف فلسطيني للتفاوض معه...ما زال الأمر مبكراً ان نعرف ما هي الصورة الآن».

وحدد سلفان شالوم، وزير خارجية إسرائيل في خطابه أمام مؤتمر هرتسليا في النصف الأول من شهر كانون الأول ٢٠٠٤، النقاط التالية فيما يتعلق بطبيعة علاقة إسرائيل مع القيادة الفلسطينية الجديدة:

١) على إسرائيل عدم إبراز الدعم الإسرائيلي للقيادة الجديدة.

٢) يتوقع الإسرائيليون أن هناك إمكانية صدامات بين الفلسطينيين في المرحلة الانتقالية بعد عرفات.

٣) التحام أبو علاء وأبو مازن يساعد على منع أي شرخ في صفوف القيادة الفلسطينية.

٤) إن القيادة الجديدة مهما كانت «معتدلة» لن تتنازل عن ثوابت أساسية حددها ياسر عرفات. لذلك لا يتوقع الإسرائيليون تغييرا جوهريا من أبو مازن الذي تسلم زمام الأمور حال مغادرة ياسر عرفات المقاطعة.

ولو كان موقف شارون صادقا لكان هناك اهتمام لإعلان شارون

يبكون الرئيس الراحل في رام الله.

ماذا سوف تعمل اسرائيل من اجل ان يحدث هذا التطور، على سبيل المثال كان بامكانه الإعلان عن وقف الأعمال الحربية الإسرائيلية والانسحاب من المدن والقرى الفلسطينية من أجل وقف النار من الجانب الفلسطيني. ولم يكن سوى العكس تماما. اسرائيل لم تقلل من الأعمال العدوانية بحق الشعب ألفلسطينيي قبل الوفاة ويوم الجنازة وبعدها. ففي اليوم الذي مات فيه ياسر عرفات قامت إسرائيل بقتل خمسة من الفلسطينيين، جرح عشرة، من بينهم أربعة أطفال وامرأة. ونفذ الجيش الإسرائيلي ثماني هجمات على أهداف فلسطينية، وتم اعتقال ١٢ فلسطينيا من بينهم ستة أطفال.

إسرائيل تعارض الانتخابات :

أشغلت قضية من سيتولى القيادة الفلسطينية على اثر وفاة ياسر عرفات، الزعماء السياسيين الإسرائيليين، مع هذا كشف مصدر فلسطيني ان إسرائيل غير معنية بإجراء انتخابات لرئيس السلطة كما ينص عليها دستور السلطة، حيث يجب إجراء الانتخابات خلال ٦٠ يوما من وفاة رئيس السلطة. لماذا إذاً لا تريد إسرائيل إجراء انتخابات فلسطينية؟ هناك عدة احتمالات:

١) الانتخابات تصنع واقعا سياسيا جديدا به يتميز بالاستقرار على الساحة السياسية الفلسطينية، وتضع حدا لأية إمكانية فوضى في المناطق الفلسطينية أو حرب أهلية.

٢) تصنع الانتخابات نمطا في الثقافة السياسية الفلسطينية على أثرها تحصل القيادة الجديدة على شرعية سياسية.

٣) إجراء الانتخابات يقرب من قيام الدولة الفلسطينية التي يسعى لخلقها شعب فلسطين منذ عشرات السنوات، وهي خطوة متقدمة لتحقيق هذا التطور. وقال الرئيس الأميركي ان «موت عرفات سوف يشكل لحظة مهمة في الطريق لإقامة دولة فلسطينية».

٤) إجراء انتخابات هو طلب المجتمع الدولي وخاصة الاتحاد الأوروبي وأميركا على قدم وساق.

٥) إجراء الانتخابات يجبر الجيش الإسرائيلي على الانسحاب من المدن والقرى الفلسطينية مما يمس بالوضع الأمني كما تراه إسرائيل.

التعازي :

تقديم التعازي في مثل هذا الحدث مهمة جدا لأنه يعكس مشاعر الأطراف تجاه بعضهم البعض.

يقول الكاتب الإسرائيلي غدعون سبيرو حول ياسر عرفات ما يلي: «كان عرفات زعيم شعب جار لنا، وأنا أريد ان اسكن مع هذا الشعب بسلام. ودولتي لم تعمل في هذا الاتجاه. لذلك، احتراما

للشعب الفلسطيني الذي انتخب عرفات زعيما له، وتضامنا معه في هذه المأساة، سافرت الى المقاطعة لتقديم التعازي[٢٤].

ولم تقم الحكومة الإسرائيلية بتقديم أية تعزية رسمية للشعب الفلسطيني بالحدث نفسه رغم مكانة ياسر عرفات عند الفلسطينيين منذ اكثر من أربعين سنة[٢٥]. ويبدو ان هناك في المؤسسة الحاكمة في اسرائيل من شعر انه يجب لعب اللعبة، والبروز على السطح على الأقل بمنظار طبيعي، حين نشر في «عناوين صغيرة» ان ايهود أولمرت القائم بإعمال شارون قد قام بدورين: ففي الوقت الذي هاجم به ياسر عرفات ووصفه بأنه إرهابي قد توفي، قام بتقديم «تعازيه للشعب الفلسطيني على موت عرفات.»[٢٦] لم نجد تأكيدا واضحا لهذا الخبر في وسائل الإعلام.

في الحقيقة، ليس فقط ان اسرائيل لم تشترك في جنازة ياسر عرفات، وإنما، وفق مصادر سياسية في القدس، سعدت اسرائيل من أن أميركا بعثت موظفا متوسط المستوى لجنازة ياسر عرفات. كذلك كان الأمر بالنسبة للدول الأوروبية، حيث اقتصرت المراسيم الرسمية على حضور وزراء خارجية أغلب دولها. ولم تكتف إسرائيل بهذا، فأي خلل فني كان مصدر سعادة عندها.

في الحقيقة، ليس فقط ان اسرائيل لم تشترك في جنازة عرفات، وإنما، وفق مصادر سياسية في القدس، سعدت اسرائيل من أن أميركا بعثت موظفا متوسط المستوى لجنازة ياسر عرفات. كذلك كان الأمر بالنسبة للدول الأوروبية، حيث اقتصرت المراسيم الرسمية على حضور وزراء خارجية أغلب دولها. ولم تكتف إسرائيل بهذا، فأي خلل فني كان مصدر سعادة عندها. على سبيل المثال، حين لم يتمكن ميغل موراتينوس، وزير خارجة أسبانيا، من وداع ياسر عرفات في القاهرة، بعد ان وصل إليها للمشاركة في الجنازة الرسمية، عبرت جهات رسمية إسرائيلية عن غبطتها. ومن يستعرض الصحف العبرية، يجد انه لم تنشر أي تعزيات في الصحف العبرية (الأساسية الثلاثة) بوفاة ياسر عرفات، وهو أمر مهم في المساعدة على تغيير الرأي العام، سوى من قبل كتلة السلام «غوش شالوم». فقد نشرت «كتلة السلام» من على صفحات صحيفة «هآرتس»، تشارك الشعب الفلسطيني في فقدان قائده ياسر عرفات، أب اتفاقية اوسلو، والحائز على جائزة نوبل للسلام، وشريك السلام الذي لم يتم التوصل الى السلام معه.[٢٧]

الانسحاب الأحادي الجانب من غزة

زاد النقاش في الأوساط السياسية الإسرائيلية في فترة مرض ورحيل الرئيس ياسر عرفات حول استمرار شارون في خطته الرامية الى الانسحاب من قطاع غزة وبعض المناطق من شمال الضفة الغربية، إذا صدق فيما يقوله، حيث هناك إمكانية واردة بأنها خطوة ثعلبية مراوغة، يريد منها كسب الوقت وخلق واقع على الأرض وهو بهذا يسير في تنفيذ الاستراتيجية الصهيونية التي بدأت منذ بداية القرن العشرين، فهناك من آثر ان يؤكد ان كل شيء يسير وفق ما تم إقراره حول خطة شارون، ودافع عن هذا الموقف شارون ومجموعته. وهناك من طلب ربط الانسحاب في غزة بتنسيق مع القيادة الفلسطينية الجديدة كي يصبح إنجازا لها لتبرزه على الفلسطينيين وتزيد بهذا من شرعيتها. ورأى هؤلاء ان الانسحاب من غزة ومناطق معينة في شمال الضفة الغربية، حدث مهم في المسيرة السلمية. ودافع عن هذا الموقف حزب العمل وقوى يسار أخرى من بينها حركة «السلام الآن» الإسرائيلية التي اعلنت ان موت عرفات يجب ان لا يشكل ذريعة لتأجيل الانسحاب الأحادي الجانب.»[٢٨] أما القسم الثالث فكان من اليمين المتطرف الذي طالب بإلغاء خطة شارون كاملة واعتبرها عضو الكنيست تسفي هندل «خطة طرد» اليهود.

يقول عكيفا الدار إن نهاية عرفات لن تؤدي الى تحويل الانسحاب الأحادي الجانب إلى مفاوضات بين الجانبين لأن عرفات كان في نظر شارون ذريعة وليس سبباً لامتناع شارون التحدث مع الفلسطينيين عن حل سياسي.»[٢٩] فحتى حين كان ابو مازن رئيس وزراء وتمتع بصلاحيات دستورية واسعة، لم تقم إسرائيل بأية خطوة «حسن نية» من أجل مساعدته في توطيد مكانته في القيادة الفلسطينية، رغم توصيات رئيس الأركان الإسرائيلي موشيه يعلون. ويضيف «مع الأسف ان موت عرفات لن يوقف الحملة التي تقول: «لا يوجد مفاوض في الجهة الأخرى والتي ضربت جذوراً عميقة في أوساط اليمين وفي أوساط اليسار على حدّ سواء».

وفي خضم مناقشة خطة شارون، على اثر مرض ووفاة ياسر عرفات، دأبت جهات إسرائيلية رسمية ان تسرب للصحافة توصيات قامت بإعدادها وزارة الدفاع الإسرائيلية من بين أبرزها[٣٠]:

١) يجب أن لا يكون تغير في التوقيت الزمني لخطة الانسحاب الأحادي من غزة. ما عدا إذا كانت هناك تطورات أمنية غير متوقعة.

٢) بموت عرفات يجب تغيير خطة الانسحاب على ان يكون هناك تنسيق مع الفلسطينيين بكافة المجالات، حتى في المجالات الأمنية.

٣) سوف يطلب من الفلسطينيين السيطرة الأمنية على قطاع غزة قبل الانسحاب الأحادي من هناك، ولن تتدخل اسرائيل في النواحي الأمنية، ما عدا في حالات اغتيالات.

٤) إذا نجحت هذه التجربة سوف تطلب اسرائيل من الفلسطينيين ان يتحملوا المسؤوليات الأمنية في العديد من مدن الضفة الغربية.

٥) تقوم اسرائيل بحث الجهات الدولية للاستثمار في المناطق المحتلة على الاستعجال عبر تدفق الأموال حتى يشعر السكان بالتغيير حالا.

٦) تواصل اسرائيل اتصالاتها مع جهات حاكمة فلسطينية من أجل التنسيق حتى توفر جهة مسؤولة من الجهة الثانية.

٧) سوف تفتش اسرائيل على «صفقات» حسن نية مثل إفراج عن سجناء، تخفيف الحواجز، وفق ما يقوم به الفلسطينيون من محاربة الإرهاب.

وسائل الإعلام العبرية وتعليقات صحافيين إسرائيليين

انزعج شارون من التغطية المكثفة لوسائل الإعلام العبرية لحدث مرض ووفاة الرئيس ياسر عرفات. وطلب عدة مرات التسلح بالصمت. ومع هذا كانت التغطية مكثفة، ويعود هذا بالأساس الى نجاح ياسر عرفات في فرض نفسه على الساحة الإعلامية. واتصفت مواقف الصحف العبرية بالشماتة والسعادة من هذا التطور، إلا ان هناك جهات حاولت إبراز نوع من التوازن في عرض الخبر. فقد اختارت صحيفة «هآرتس» ان تنشر يوم جنازة ياسر عرفات مقابلة مع الصحافي الإسرائيلي اوري افنيري الذي كان من ابرز الاسرائيليين الذي اشتركوا في جنازة ياسر عرفات، كان أول صحافي إسرائيلي بدأ الاتصال مع ممثلي منظمة التحرير العام ١٩٧٤، وأول صحافي إسرائيلي يقابل ياسر عرفات وسط حصار بيروت العام ١٩٨٢، وكان أول إسرائيلي استقبل ياسر عرفات حين عاد الى ارض الوطن العام ١٩٩٤، و في مقدمة المقابلة كتب الصحافي الإسرائيلي «أري شبيط» ما يلي: أبرز اوري افنيري إخلاصا لياسر عرفات في أحلك الأيام التي عاشها قائد حركة التحرر الوطني الفلسطيني.[٣١].

وشبه اوري افنيري ياسر عرفات بالنبي موسى الذي مات قبل ان يدخل ارض الميعاد، مؤكدا ان هذا يخلق تشابها مهماً، ويجعل من عرفات الميت أكثر تأثيراً من عرفات الحي. ووصف اوري افنيري عرفات بأنه «عملاق وأحد أبرز زعماء العالم في النصف الثاني من القرن العشرين. وفاق كثيراً نلسون مانديلا الذي وجد دولته حاضرة، بينما عمل عرفات على تجميع شعب مشتت عاش في أغلبه تحت أنظمة دكتاتورية، حين كانت قيادته مطاردة من قبل أجهزة الاستخبارات العربية. ونجح في تجميع شعب مليء بالتناقضات. واستطاع الجمع بين هذه التناقضات وحده، وصمد امام كلينتون وباراك في كامب ديفيد. ولذلك سوف يدخل ياسر عرفات في مكانة كل من عمر بن الخطاب وصلاح الدين الايوبي.» ورفض أفنيري تحميل فشل مؤتمر كامب ديفيد في تموز ٢٠٠٠ لياسر عرفات بل حمله لايهود باراك لان الأخير وفق تقييم افنيري هو «أكبر الأغبياء في الصراع العربي الإسرائيلي، وكبير المجرمين حيث تقع عليه مسؤولية قتل آلاف الأشخاص في المنطقة.» مضيفاً: «حين قال باراك انه لا يوجد شريك على الساحة الفلسطينية للتفاوض معه فقد اثبت انه مريض نفسيا. مؤكدا: « إنه أسوء من شارون نفسه.» وأضاف افنيري: لقد تصرفت القيادة الإسرائيلية تجاه ياسر عرفات بغباء، لقد نجحنا في كسره دون ان نعي ونفهم انه كان سدا في وجه التعصب الديني في المنطقة. كان شارون ضحلا ولم يستطع فهم معنى لحظات تاريخية مهمة. ويقول ان جهد شارون وبوش المشترك لكسر ياسر عرفات مثل في حقيقته «قصر نظر تاريخياً لأناس بعيدين عن التاريخ. وبهذا فقد أتيا كلاهما بمصيبة على أميركا وعلى إسرائيل». وأضاف «من الصعب إعادة المياه الى مجاريها». كتب زئيف شيف المعلق العسكري لصحيفة «هآرتس» ما يلي: إن موت عرفات سوف ينهي العنوان الواضح لإسرائيل من أجل المفاوضات والمحاسبة...هناك تخوف ان تعم الفوضى المناطق المحتلة وعندها سوف يكون سبب لإدخال قوات دولية. وأضاف: على إسرائيل ان تثبت عقم المقولة انه «فقط عرفات يستطيع التوصل الى سلام حقيقي مع الفلسطينيين»[٣٢].

انزعج شارون من التغطية المكثفة لوسائل الإعلام العبرية لحدث مرض ووفاة الرئيس ياسر عرفات. وطلب عدة مرات التسلح بالصمت. ومع هذا كانت التغطية مكثفة، ويعود هذا بالأساس الى نجاح ياسر عرفات في فرض نفسه على الساحة الإعلامية. واتصفت مواقف الصحف العبرية بالشماتة والسعادة من هذا التطور، إلا ان هناك جهات حاولت إبراز نوع من التوازن في عرض الخبر. فقد اختارت صحيفة «هآرتس» ان تنشر يوم جنازة ياسر عرفات مقابلة مع الصحافي الإسرائيلي اوري افنيري الذي كان من ابرز الاسرائيليين الذي اشتركوا في جنازة ياسر عرفات، كان أول صحافي إسرائيلي بدأ الاتصال مع ممثلي منظمة التحرير العام ١٩٧٤، وأول صحافي إسرائيلي يقابل ياسر عرفات وسط حصار بيروت العام ١٩٨٢، وكان أول إسرائيلي استقبل ياسر عرفات حين عاد الى ارض الوطن العام ١٩٩٤

التخويف قسم من الاستراتيجية

كي لا يشعر الإسرائيليون بالأمان على اثر وفاة ياسر عرفات، حيث كل ما كتب عن الموضوع يوحي بأن العقبة قد زالت، لم ينس رئيس الأركان الإسرائيلي بتذكير الاسرائيليين ان الوضع ما زال خطيرا، فحذر الاسرائيليين من أن العمليات العسكرية الفلسطينية سوف تستأنف خلال عدة أيام. وقامت اسرائيل بإعلان حالة الطوارئ في وحداتها العسكرية بالقرب من المدن الفلسطينية في الضفة من اجل ان تمنع أية مظاهرات أو اخلال في الأمن.[٣٣] وفي هذا الإطار ركزت الصحف العبرية خبر وصور إعلان كتائب «شهداء الأقصى» أن بحوزتهم صواريخ من نوع «ياسر» يصل مداها الى مدينة عسقلان.[٣٤] ومن أجل نقل حالة الخوف الى الدائرة الفلسطينية، أرسلت اسرائيل بعد عدة أيام من وفاة الرئيس عرفات تحذيراً الى أبو مازن توعز له بأن حياته في خطر إذا لم يأخذ الأمور بيديه.

مكان الدفن

على اثر التدهور السريع الذي حدث في صحة الرئيس عرفات في التاسع من تشرين الثاني ٢٠٠٤ ، بدأ الحديث في اسرائيل عن مكان دفنه، وحاولت جهات إسرائيلية الضغط كي لا يدفن جثمان ياسر عرفات في المناطق المحتلة. ويبدو ان خوف الاسرائيليين نبع من رفضهم عدم خلق مزار لقبر عرفات ليستمر تأثيره بعد مماته. وتردد الفلسطينيون في الحديث عن هذا لان الأمر في غاية الحساسية. إنهم يريدون لرئيسهم العودة سالما وعليهم التفاؤل من أجل هذا، إلا انه مع التدهور أصبحت مسألة دفنه مهمة، وحتى بدون تقديم طلب رسمي فلسطيني لدفنه في القدس حيث أوصى في حياته، رفض شارون أن يسمح بدفن ياسر عرفات في القدس. وقال وزير العدل في حكومة شارون، يوسف لبيد، الذي كان يتحدث باسم حكومة شارون، ان القدس هي مكان للموتى العاديين وليس «للإرهابيين».

وحين قرر الفلسطينيون دفن رئيسهم في المقاطعة، المكان الذي كان محاصرا به في سنواته الثلاث الأخيرة، أبدى الإسرائيليون معارضة لذلك. وفضلت حكومة اسرائيل دفنه في قطاع غزة. وقال نائب وزير الدفاع الإسرائيلي في ٢٠٠٤/١١/٩ : «الحل الصحيح لدفن عرفات هو قطاع غزة، وسوف تسمح اسرائيل لكل من يريد المشاركة في الجنازة للدخول الى قطاع غزة. وأكد نائب الوزير أن دفن ياسر عرفات في المقاطعة سيكون خطأ لإسرائيل وللفلسطينيين على حد سواء.[٣٥] واقترح العديد من اعضاء الكنيست اليمينيين بزعامة أرييه إلدار وأوري أريئل وكلاهما من حزب «هائحود هاليئومي» منع دفن عرفات في اراضي الضفة الغربية مرتكزين على ان ياسر عرفات، وفق اقتراح قانون مقدم من حكومة اسرائيل، هو «رئيس سلطة تؤيد الارهاب»[٣٦].

إلا ان اصرار الفلسطينيين على دفنه في المقاطعة قد اجبر اسرائيل على الموافقة وذلك على أثر المخاطر المترتبة عن الموقف الاسرائيلي. قال رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية إن عدم الاستجابة لمثل هذا الطلب يعنى نهاية أبو مازن[٣٧].

موقف المعارضة في اسرائيل

لم يكن هناك معارضة وائتلاف في القرارات التي اتخذت فيما يتعلق بوفاة ياسر عرفات. بل كان هناك خلاف في الاجتهاد. فمواقف حزب العمل، التي كان فترة مرض ووفاة ياسر عرفات في المعارضة في اسرائيل، لم تختلف عن مواقف شارون بشكل كبير وإنما كان هناك اجتهاد في قضية الانسحاب الأحادي الجانب من قطاع غزة. ففي الوقت الذي طرح شارون ان خطته ستكون أحادية الجانب، اقترح زعماء حزب العمل ان وفاة عرفات تحتم ان يكون هناك تنسيق مع الجانب الفلسطيني حين تقوم اسرائيل بالانسحاب من قطاع غزة. من جهة ثانية اشترك زعماء حزب العمل في الجوقة التي شنت حربا نفسية على القيادة الفلسطينية. وهناك من يفسر انضمام بيريس الى حكومة شارون التي بدأت تمارس عملها في ١١ كانون الثاني ٢٠٠٥، ما هو إلا مشاركة لإتمام صفقة يريدون تمريرها على اثر وفاة ياسر عرفات. فحين رفض عرفات التنازل عن ثوابت في مؤتمر كامب ديفيد في تموز ٢٠٠٠ كان القرار في الأوساط الإسرائيلية التخلص منه لأنه أصبح عقبة أمام المشروع الصهيوني في الأرض المقدسة. قال شمعون بيريس: على اثر موت عرفات، يجب البدء في مفاوضات سياسية مع الفلسطينيين مع الانسحاب من غزة. وحاول ان يبرز سلبية عرفات مع إبراز انجاز لإسرائيل حين قال: « أراد عرفات الحفاظ على شعبيته بين أوساط شعبه، لذلك لن يأمر بوقف العنف. مع هذا، وهذا يعتبر إنجازا لإسرائيل وإنجازا شخصيا لشمعون بيريس نفسه، أضاف لقد وافق عرفات في اوسلو على قرار تاريخي اعترف بموجبه باسرائيل بحدود عام ١٩٦٧ ,»[٣٨].

وعقب بيريس على موقف شارون التي يرتكز على ان لا يكون هناك مفاوضات مع السلطة الفلسطينية دون توقف «الأعمال الإرهابية» حتى بعد وفاة ياسر عرفات قائلا: «إن عرض هذا الشرط يمنع اتفاقا معهم. ويضعف موقف السلطة الفلسطينية الجديدة. أبو مازن وأبو علاء يؤيدون السلام ويعارضون الإرهاب. هناك طرف للتفاوض من الجانب الفلسطيني ويجب ان ننسحب من غزة بالتفاوض معه.».

ومع ان هذا تغيير في موقف حزب العمل، إلا انه لم يضعه بيريس كإنذار او شروط لانضمامه لحكومة شارون[٣٩]، وكتب افرايم سنيه، أحد زعماء حزب العمل ما يلي[٤٠]: «الفرصة التي خلقت بعد موت عرفات تصرخ لكي تستغل بشكل سريع، شجاع وحكيم. والقيادة الفلسطينية الجديدة بحاجة الى إنجازات ملموسة على الأرض، وهي جاهزة للقيام بأعمال لم تكن ممكنة زمن ياسر عرفات. إن أول عمل يجب القيام به هو أن يكون هناك تنسيق مع القيادة الفلسطينية الجديدة حول الانسحاب من غزة وشمال الضفة الغربية. وبهذا التنسيق هناك أمل بوقف الإرهاب من غزة. هناك استعداد عند القيادة الفلسطينية الجديدة».

من جهة ثانية ظهرت خلافات داخل صفوف حزب «ياحد» بزعامة يوسي بيلن حول الرد على وفاة الرئيس عرفات والسبل التي يجب إتباعها. وتمحور الخلاف حول قيام الحزب بإرسال برقية تعزية أم لا.

على اثر التدهور السريع الذي حدث في صحة الرئيس عرفات في التاسع من تشرين الثاني ٢٠٠٤ ، بدأ الحديث في اسرائيل عن مكان دفنه، وحاولت جهات إسرائيلية الضغط كي لا يدفن جثمان ياسر عرفات في المناطق المحتلة. ويبدو ان خوف الاسرائيليين نبع من رفضهم عدم خلق مزار لقبر عرفات ليستمر تأثيره بعد مماته.

فأيد إرسال التعزية ١٧ عضوا في مجلس الادارة العام، من بينهم يوسي بيلين وزهاڤا غلئون، التي أكدت ان عدم تقديم التعزية تساعد على نزع الصفة الإنسانية عن الفلسطينيين، وأن تقديم التعزية هي قضية إنسانية. وعارض إرسالها ١٤ عضوا برئاسة عضو الكنيست ران كوهن الذي أكد ان إرسالها سوف «يشجع ويكافئ الإرهاب» لأن عرفات، وفق ما يدعيه كوهن، «مسؤول مباشرة عن الإرهاب». وصرح عضو الكنيست حاييم اورون بأنه يجب التحلي بالصبر واحترام مشاعر الشعب الفلسطيني. ولم ينس ان يقول: «في المرحلة الأخيرة كان عرفات قاسيا وهداماً لكلا الشعبين». وشملت برقية التعزية ان يوم وفاة ياسر عرفات يعتبر يوم حزن للشعب الفلسطيني[٤١]، وصرح تجمع «مبادرة جنيف» ان هذا التجمع يشارك حكومة شارون بوفاة «لا يوجد شريك للمفاوضات» على الجانب الآخر.

تلخيص

نجحت النخب الحاكمة في اسرائيل ابتداء من باراك حتى شارون في خلق رأي عام إسرائيلي معاد لياسر عرفات على أثر رفض عرفات الرضوخ للمطالب الإسرائيلية في كامب ديفيد في

تموز ٢٠٠٠، وقد يكون هذا في إطار التحضيرات للتخلص منه. كشف بحث ميداني أجري في بداية شهر تشرين الثاني ٢٠٠٤، ونشر قبل وفاة ياسر عرفات بثلاثة أيام أنه رغم مرض ياسر عرفات، وفي هذه الحالات ربما تعاد الحسابات من جديد، حافظ أغلب الإسرائيليين على عداء لياسر عرفات ورأى ٧٩٪ من اليهود الإسرائيليين به إرهابيا. وأن أغلب الإسرائيليين لا يؤمنون ان تغييراً في القيادة، بعد عرفات، سوف يساعد على التوصل لسلام بين الطرفين[٤٢].

لا يمكن تحليل وتفسير تصرف حكام اسرائيل وقت محنة الشعب الفلسطيني بمرض ووفاة ياسر عرفات بمعزل عن التطورات السياسية التي حدثت في السنوات العشر الأخيرة. فبعد أن رفض عرفات الرضوخ للمطالب الإسرائيلية والتنازل عن الثوابت الفلسطينية الأساسية، الانسحاب إلى حدود الخامس من حزيران ١٩٦٧ وضمان حق العودة، في كامب ديفيد، حسمت اسرائيل موقفها من ياسر عرفات. وكانت هناك دلائل تشير ان لها ضلعاً في موته. واستمرت القيادة الإسرائيلية في مهاجمة ياسر عرفات في ساعات الاحتضار وحتى بعد موته. وكان الهدف من وراء هذا نزع الشرعية في القيادة المستقبلية ومحاولة ترويضها لتقبل الشروط الإسرائيلية في حسم الصراع. هناك اعتقاد راسخ في اسرائيل انه بترويض وتطويع القيادة السياسية الجديدة يمكن حسم الصراع لجانب اسرائيل. علق الصحافي الإسرائيلي دورون روزنبلوم[٤٣] على الدعاية الإسرائيلية التي حاولت وصف عرفات من خلال بزته العسكرية، وان ليس هناك شريك في الطرف الآخر بما يلي: من يسكن في بيت من الزجاج يجب ان لا يرمي الآخرين بالحجارة، فالزعامة الإسرائيلية في أغلبها من العسكريين، ويتساءل أين «أبو مازن» في الجانب الإسرائيلي؟.

هوامش:

١«معاريف»، ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٤.

٢ «هآرتس»، ١٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٣ موقع صحيفة «يديعوت أحرونوت» Ynet.com، ٢٠٠٤/١١/١١.

٤ «هآرتس»، ٩ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٥ «هآرتس»، ١٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٦ «يديعوت أحرونوت»، ١٤ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٧ «يديعوت أحرونوت»، ١٤ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٨ مقابلة ليلة رأس السنة، ٣١ كانون الأول، ٢٠٠٤ في قناة الجزيرة.

٩ «يديعوت أحرونوت»، ٧ كانون الأول، ٢٠٠١، مقتبسة من قبل عكيفا الدار، «هآرتس»، ١ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

١٠ «هآرتس»، ١٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

١١ للمزيد من التفاصيل: www.nfc.co.il/archive/001-D-43696-00.html-tag=14-12-37@au=true

١٢ للمزيد من التفاصيل: www.nfc.co.il/001-D-44627-00.html-tag=١٤-٣٤-١٧

١٣ أنظر مقال أمير مخول« إسرائيل لا تتورع عن أي شيء، إسرائيل لا تستطيع أي شيء» نشر بتاريخ ١٧ تشرين الثاني، على موقع www.arabs48.com.

١٤ انظر مقال تحليلي كتبه هاني المصري، www.amin.org/views/hani_almasri/2004/apr27.html

١٥ الصحافي، عوزي بنزيمان، «هآرتس»، ١٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

١٦ «يديعوت أحرونوت»، ١١ تشرين الثاني، ٢٠٠٤

١٧ «هآرتس»، ٢٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

١٨ «يديعوت أحرونوت»، ١٤ تشرين الثاني، ٢٠٠٤..

١٩ Ynet.com موقع «يديعوت أحرونوت» على شبكة الانترنيت، ٢٠٠٤/١١/١١.

٢٠ «هآرتس»، ١٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٢١ «معاريف»، ١١ /٢٠٠٤/١١.

٢٢ «هآرتس»، ١٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٢٣ «هآرتس»، ١٤ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٢٤ – www.faz.co.il/story ــ٢٥١٧

٢٥ – تم تناقل خبر ان أيهود اولمرت، الذي لم يبخل بتوجيه الاتهامات لياسر عرفات أيام مرضه ويوم وفاته واصفاً اياه بانه إرهابي، قدم تعازيه للشعب الفلسطيني.

٢٦ – موقع صحيفة «يديعوت أحرونوت» Ynet.com، ٢٠٠٤/١١/١١.

٢٧ – «هآرتس»، ٢٠٠٤/١١/١٢.

٢٨ – موقع صحيفة «يديعوت أحرونوت» Ynet.com، ٢٠٠٤/١١/١١.

٢٩ – «هآرتس»، ٨ تشرين الثاني، ٢٠٠٤

٣٠ – «معاريف» ٢٠٠٤/١١/١١.

٣١ – «هآرتس»، ١٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٣٢ – «هآرتس»، ٥ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٣٣ – «معاريف»، ٢٠٠٤/١١/١٠.

٣٤ – «يديعوت أحرونوت»، ٢٠٠٤/١١/١٥.

٣٥ – «معاريف»، ٢٠٠٤/١١/١٠.

٣٦ – «معاريف»، ٢٠٠٤/١١/١٠.

٣٧ – «يديعوت أحرونوت»، ٢٠٠٤/١١/١١.

٣٨ – «هآرتس»، ١٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٣٩ – «معاريف»، ١١ /٢٠٠٤/١١.

٤٠ – «هآرتس»، ٢٠٠٤/١١/١٢.

٤١ – «هآرتس»، ١٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٤٢ – صحيفة «هآرتس» ٩ تشرين الثاني، ٢٠٠٤.

٤٣ – «هآرتس»، ١٢, ٢٠٠٤.